التاريخ قصته

لنتابع معا الأحداث التي ينقلها لنا سفر "دانيآل"، وما أسفرت عنه من نتائج مذهلة لا تخلو من روعة وجمال، ولنقرأ الأصحاح الحادي عشر بدءًا من العدد الأول حتى العدد العشرين.

يستمر هذا الأصحاح من سفر "دانيآل" مكملا ما سبقه؛ فالعدد الأول ينتمي للأصحاح السابق، فيه يُكمل الرب يسوع المسيح كلامه. ومن الصعب معرفة ما دفع الذين قاموا بتقسيم الأصحاحات، بفصل هذا الجزء عن سابقه.

في الآية الافتتاحية، يقول الرب يسوع، إنه شدَّد وقوَّى الملاك ميخائيل في الحرب السماوية عند بدآءة الإمبراطورية الفارسية. لقد أُسقِطت "بابل" بقوة المسيح. كانت "مادي وفارس" أدواته الأرضية لذلك، لكن السقوط الحقيقي لتلك الإمبراطورية الأرضية كان فعلا إلهيًّا، تمَّ عن طريق ابن الله نفسه.

يتلخص باقي الأصحاح في الكلمات الافتتاحية في عدد2: "والآن أُخبركَ بالحق...". إن الربّ مزمع أن يُعطي "دانيآل" صورة حقيقية عن المستقبل. والأصحاح الحادي عشر يحتوي على تاريخ كُتِب قبل أن يحدث، كُتب منذ الأزل في الكُتب الإلهية (10: 21) وكُتب أيضا في سفر "دانيآل" قبل حدوثه بزمان بعيد.

الأصحاح الحادي عشر من أصعب أصحاحات سفر "دانيآل"؛ لذا سنحتاج أن يكون الكتاب المقدس مفتوحا أمامنا. إنه صعب، خاصة لغير الدارسين للتاريخ جيدا، ولكي نقف على أبعاده سوف نقسمه. لا شك أنّ فيه دروسا قوية ومشجعة، وعندما نتعلمها، سنجد أنها فعلا تستحق كل الجهد الذي نبذله.

ولننتقل سويًّا عزيزي القاريء إلى محتويات 11: 1 – 20 حتى وإنْ فهمنا ما بها بطريقة عامة، فإنها ستقوِّي حياتنا الروحية بدرجة كبيرة.

المحتويات:

كلام الرب إلى "دانيآل" في هذه الرؤيا، كان في السنة الثالثة من حُكم "كورش" الفارسي (10: 1)، وفي العدد الثاني من الأصحاح الحادي عشر يُخبر الرب "دانيآل" أنّ الملك الرابع (بعد الملك الحالي) "يَستغني بغنًى أوفرَ من جميعهم، وحسب قوَّته بغناه يُهيّجُ الجميع على مملكة اليونان". سيكون متميِّزا عن غيره.

كان الملك الرابع لبلاد "فارس" بعد "كورش" هو "أحشويروش"، وكان أغنى من كل أسلافه، وقد استعمل ثروته الهائلة لبناء جيش قوي، به هاجم "اليونان".

مازلت أذكر جيدا كيف اهتزت مشاعري وأحاسيسي وقت أن كنت صبيا وأقرأ تاريخ "هيرودوتس"، وفيه سِجِل حافل لتلك البطولات والمعارك التي دارت في "ترمبولي" و"سلاميس". حقا، لقد تمَّ التاريخ تماما كما أخبر الرب النبي الشيخ.

عندما نُطالع عددي 3و4، نرى أنّ "فارس" لم تبق القوة السائدة؛ فلم يمض زمن طويل، حتى أصبح مجد العالم لليونان، على يد "الإسكندر الأكبر" (3). ذلك الشاب الذي مات في الثانية والثلاثين من عمره في "بابل"، ولم يرث أحد من أبنائه إمبراطوريته؛ فقد قُسِّمت الغنائم فيما بين اثني عشر من قادة جيشه. وفي النهاية انقسمت المملكة إلى أربعة أقسام، حسب النبوَّة السابقة، الواردة في سفر "دانيآل" (8: 8)، وبقيت بضع دويلات أخرى صغيرة لفترة قصيرة. والنتيجة النهائية أن مجد إمبراطورية "الإسكندر" قد أفل، وأصبحت أربع ممالك، ولم تصل واحدة منها لمجد الإمبراطورية الأصلية.

بعد فحص وتدقيق تجد أن النبوَّات في عدد4 قد تحققت تماما، وأصبحت طريقتنا في معالجة هذا الأصحاح واضحة. فنحن نتحدث عن تاريخ فترة ما بين العهدين، بينما نشير إلى الأعداد المحدَّدة التي تنبأت عن هذه الأحداث.

والآن ونحن نطالع عدد5، وما فيه من تنبؤ يخص "ملك الجنوب"، نجد أن ذلك يُشير –دون شك- إلى "مصر"، ويوضح ذلك عدد8. فقد شهد عام 322 ق.م اعتلاء "بطليموس" عرش "مصر"، واستمر حتى عام 305 ق.م، وجعل "سلوقس" قائدا عسكريا، فأظهر براعة حربية.

وفي عام 312 ق.م أخذ "سلوقس" "بابل" من كل منافسيه، وأنشأ الإمبراطورية "السلوقية" في الشمال، وقاعدتها "سوريا". وبسرعة علا شأنها وفاقت مملكة "البطالسة الجنوبية"، في كل من الحجم والقوة.

وسوف يلحظ قاريء عدد6 دون شك، إشارات إلى أنّ المملكتين، الجنوبية والشمالية، تحالفتا معا، من خلال المصاهرة، بعد خمس وثلاثين سنة من موت "سلوقس". فقد تمَّ زفاف "برنيس" -ابنة "بطليموس الثاني" من الجنوب- في موكب عظيم، على "أنطيوخوس الثاني" في الشمال. إلا أنّ هذا الزواج لم يكن ذا تأثير قوي لدمج المملكتين معا. وبعد ذلك بقليل مات أبو "برنيس".

إنّ القصة طويلة، لا يتَّسع المجال لسردها في هذا الكتاب، لكن يكفي القول إنه بعد فترة وجيزة، ماتت "برنيس" وكذلك زوجها "أنطيوخوس الثاني" وطفلهما. الجميع قُتِلوا، وأصبح الحال بعد فترة ليست طويلة، كما لو لم يكن هناك ملكة اسمها "برنيس"، أو أي تدعيم للتقارب بين الجنوب والشمال.

لم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد أصبح أخوها -"من فرع أصولها" (عدد7) "بطليموس الثالث"- الملك التالي لـ"مصر"، وأصبح معروفا باسم "بطليموس Ptolemy Euergetes" (أي الفاعل حسنا). وقد دخل حربا مع الشمال حَمِيَ وطيسُها، ونجح في قتل الذين قتلوا أخته.

وبعد أن زاد نجاح مملكته الجنوبية (عدد8)، أحس بأنه لم يستنفد طاقته بعد؛ فأفسدت جيوشه الشمال، وحملت آلهتهم إلى "مصر". وهكذا تفوَّقت مملكة البطالمة على "السلوقيين"، واستمرت لسنوات.

في الترجمة المعتمدة لنهاية عدد8 نقرأ: "وهو سيستمر سنوات أكثر من ملك الشمال". ويُمكن أن تترجم: "وهو سيمتنع عن مهاجمة ملك الشمال لبضع سنوات"، وقد حدث ذلك فعلا. كل التفصيلات التاريخية كُشفت لـ"دانيآل" قبل قرون من حدوثها، وعندما نُطالع ما ورد في الأصحاح، نندهش لدقّة النبوَّة في كلمة الله.

وأول ما يتبادر إلى الذهن أنّ الترجمة المعتمدة لعدد9 ليست صحيحة، بل يجب أن تكون: "وهو (ملك الشمال) سيدخل مملكة ملك الجنوب، وسيرجع إلى أرضه".

وقد حدث هذا بالفعل، فمن الشمال جاء رجل بالإسم الجميل "سلوقس"، وزحف في عام 240 ق.م على "بطليموس" في الجنوب، وهزمه تماما، ثم عاد إلى أرضه. وبعد ذلك جاء ابنا ملك الشمال، وهما "سلوقس سراونوس" و"أنطيوخوس الكبير"، وجهَّزا نفسيهما للحرب (عدد10). إنّ لغة هذا العدد دقيقة، وتنبيء بالتحديد بما حدث بعد ذلك؛ فقد تبدّد اتحاد الأميرين، إذ مات "سلوقس" في ميدان المعركة، وكان على "أنطيوخوس الكبير" أن يستمر وحده؛ فقاد حملات كثيرة في اتجاهات مختلفة عديدة، أخذ فيها "غزة" على حدود مملكة "البطالمة"؛ مما جعل الحرب بين الشمال والجنوب تعود مرة أخرى.

ولننتقل سويًا إلى عدد11 لنرى أن جيوش "أنطيوخوس" هائلة بالمقارنة بالمملكة الجنوبية؛ التي لم يكن لديها شيء تقريبا: 70000 من المشاة و5000 من الفرسان و73 فيل. وهنا ثار "بطليموس فيلوباتر" غاضبا، ودفع القوات الجنوبية لتخوض معركة مصيرية، مع القوات الشمالية الفائقة، عدة وعتادا. وفاز أخيرا بالمعركة، وخضع له جمهور الشمال.

إنّ النصر العجيب وغير المتوقع، ملأ قلب ملك الجنوب غرورا (عدد12) وتقدم يوقع هزائم متتالية بالشمال. لكنه لم يجنِ ميزات؛ فعاد للجنوب ثانية من أجل حياة سهلة.

لم يكن للتفوق الجنوبي أن يستمر (عدد13)، ولم يمض وقت طويل حتى مات "بطليموس فيلوباتر"، ليخلفه ابنٌ من أبنائه الأربعة، وتعود "الشمال" وتصبح القوة المهَيمِنة على الساحة مرة أخرى.

(عدد14) والآن بدا كما ولو أنّ كلّ شيء قد انتهى بالنسبة للجنوب؛ فقد تحالف "فيليب المقدوني" مع الشمال، وبهذا قوي أعداء الجنوب جدا، وظهر المتمردون داخل الحدود المصرية، مع أنهم لم يستمروا طويلا.

كل تفاصيل هذه الأحداث التاريخية حدثت "لإثبات الرؤيا". وقد تحققت كما سبق وقالها ربنا لـ"دانيآل". زاد صدقها تأكيدا. لا شيء منها زائف وكل ما سبق وتُنبيء به، قد تحقق أمام عيون القراء؛ فسبَّب تشجيعاً لشعب الرب، خلال الأوقات الحالكة، وتعلَّموا ما سوف تكون عليه النتيجة النهائية.

كان للشمال بعد ذلك نصر حتمي في "صيدون"؛ فالمدينة حوصرت، وأُقيمت المتاريس؛ لتمكين الجيش المهاجم من دخول المدينة (عدد15).

لقد بدا أن "أنطيوخوس الكبير" لن يُقهَر، ولا أحد في استطاعته أن يقاومه. وسرعان ما صارت "فلسطين" في قبضة يده، وبدأت تعاني نتيجة لذلك (عدد16). بالرغم من كل هذا، لم يستطع أن يهزم الجنوب؛ مما جعله يُغيِّر سياسته الحربية. وهنا نأتي إلى الفترة التاريخية التي التبس فيها الأمر على البعض، كما حدث في معالجة أحداث مسرحية "أنطونيو وكليوباترا" لـ"شكسبير". لقد توصَّل "أنطيوخوس" إلى أنّ أفضل طريق ليهزم الجنوب هو الدهاء؛ لذلك ذهب إلى مصر، ومعه كل أنواع الأصدقاء والأشراف. ولكي يتمكن من فرض قوته على الجنوب؛ خطب ابنته "كليوباترا" للملك "البطليموسي". ولكن الخطة فشلت بشكل مأساوي، فبعد الزواج بخمس سنوات، لم تُحقق "كليوباترا" ما كان يسعى إليه والدها؛ فقد وقفتْ بجانب زوجها ضد أبيها. وها هو التنبؤ الإلهي بدا صحيحا مرة أخرى: "فلا تثبت ولا تكون له" (عدد17). وقد أدى ذلك إلى تخلّي أنطيوخوس الكبير عن طموحاته في الجنوب، نحو "الجزر" التي على سواحل البحر الأبيض

المتوسط، وكل ما يعتمل في نفسه أنْ يُخضع "آسيا الصغرى" إلى أملاكه. وبذلك يكون قد التهم أكثر مما يشتهي.

ولكن "ليس كل ما يتمنَّى المرء يدركه". زحف عليه "لوسيوس سكبيو أسياتيكس Lucius Scipio Asiaticus" الروماني، وانهزم "أنطيوخوس" وأُذِلَّ تماما (عدد18).

أقل ما يمكن أن يُقال، إنها كانت هزيمة نَكْراء، ونهاية لطموحات "أنطيوخوس" التوسعية. لم يَعُدْ قادرا على مهاجمة شعوب أخرى؛ فركّز اهتمامه على شئون وطنه، وبعد قليل اختفى عن مسرح الأحداث (عدد19).

وخلفه "سلوقس فيلوباتر Seleucus Philopator"، وبدأ أعماله بأن أرسل مبعوثا يُدعَى "هليودورس Heliodorus" ليستولي على أموال خزينة الهيكل في "أورشليم". وما أن شرع "هليودورس" في تنفيذ ما أُمِرَ به، حتى رأى -على حد قوله- شبحا يحذِّره من ارتكاب هذا العمل الشرير؛ فاستجاب ولم يفعل.

بعد بضعة أسابيع فقط من بداية عهد "سلوقس فيلوباتر"، نزلت الستارة واختفى بصورة غامضة. وساد حينذاك اعتقاد أن "هليودورس" قد دسَّ له السم، وكان ذلك تحقيقا للنبوة: "وفي أيام قليلة ينكسر، لا بغضب، ولا بحرب" (عدد20).

إذا ما وقفنا الآن لنتأمل هذا التاريخ، سنجده صعبا ومعقَّدا، وليس ممتعا. إنه من شبه المستحيل، أن يحتفظ أحد في ذاكرته طويلا، بالتاريخ الدقيق للعلاقات بين "البطالمة" و"السلوقيين". لكن ها نحن قد وصلنا إلى النقطة، التي سيأتي فيها "أنطيوخوس إبيفانيس" إلى مسرح التاريخ. وقد سبق وقرأنا عنه في الأصحاح الثامن، وسندرس قدرا كبيرا عنه في الفصل التالي من هذا الكتاب، والذي يُغطّي الجزء (11: 21 – 45).

ولما كان هذا المقام ليس مجالاً لمتابعة تفاصيل تاريخ الشرق الأوسط، فيما بين العهد القديم والعهد الجديد؛ لذا تُعتبر دراستنا له في هذا الأصحاح سطحية لحد ما. وهدفنا

هو ملاحظة أن كل التفاصيل التي تم التنبؤ بها قد حدثت بالضبط، والذي يهمنا قوله، إنّ ما كُتب في كتاب الله، وبالتالي ما جاء في سفر "دانيآل"، هو ما كُتب بالضبط في كتب التاريخ التي بين أيدينا. هذه الحقيقة المذهلة، لابد أن تقودنا إلى أن نتعلم عددا من الدروس الروحية المفيدة جدا. إنها واضحة كالبلّور، وإليك هذه الدروس.

بعض الدروس:

الدرس الأول: إن أصحاحاً مثل هذا، يؤكد ويجدِّد ثقتنا في الكتاب المقدس. وكما أوضحت من قبل، أنّ قصدي من كتابة هذا الكتاب، هو أنْ أُشجع الناس على قراءة سفر "دانيآل" من أجل أنفسهم، وليس غرضي أن أُثبت بالأدِلّة، أنّ هذا السفر قد كُتب في القرن السادس قبل الميلاد؛ فالسِّفْرُ وحدة واحدة، وليس هناك أي دليل على أن جزءا منه قد كُتب في فترة زمنية أخرى. وهناك أدلة داخلية وخارجية، على أنه كُتب في القرن السادس قبل الميلاد، تلك الأدلة نجدها في كُتب "Prof. Robert Dick Wilson"[1] و "Prof. E.J. Young"[2]، بجانب التجهيز الذهني الضروري، الذي يعود بالفائدة من تلك الدراسة المفصلة، في تلك المجلدات. ويلزم ملاحظة أن مجادلاتهم كثيرا ما أُهملت، ولم يُجب عليها أحد؛ وذلك يعود لما جاء فيها من حجة قوية يصعب مهاجمتها.

عندما نطالع ما نستعرضه الآن، نجده بمثابة قطعة رائعة من الأدب، فيها التاريخ قد كُتب قبل أن يحدث!! لا يمكن تفسير مثل تلك الظاهرة سوى بأن مصدرها غير بَشَري. ولا عجب أن يقول الرب يسوع المسيح عن العهد القديم –إجمالا بما فيه سفر "دانيآل"- "كلامك هو حق" (يو17: 17).

ليس الكتاب المقدس مجرد كتاب به حقائق، وليس مجرد كتاب حقيقي، بل إنه كتاب الحق. إن الغالبية العظمى من رجال ونساء حولنا، لا يعرفون ما يؤمنون به، أو إلى أين يتوجهون. إنهم يطلبون كلاما أكيدا، يبحثون ويدققون النظر للوصول إلى الحقيقة. بكل ثقة نستطيع أن نقول لهم: "ثقوا في الكتاب المقدس، كلام الله الحق، إنه معصوم من الخطأ".

فَكِّرْ في شخص ما يُخبرك دائما بالحق، إنك متأكد من ذلك لأنه في كل مناسبة، كلماته تثبت أنها فعلا صادقة. ألا تُصدِّقه، حتى حين يصعب عليك التحقق من صحة كلامه لك؟

وهذا أيضا ينطبق على الكتاب المقدس؛ ففي فحص كل جزء منه، تتأكد أنه يقول الحق. إنّ الأعداد التي درسناها في هذا الأصحاح من ذلك النوع. يمكننا أن نرى ما يُنْبيء به، ويمكننا أن نرى بوضوح أن الأحداث التاريخية التي حدثت كانت مطابقة تماما للنبوات المذكورة. لقد أثبتت صدقها.

Studies in the Book of Daniel, "Robert Dick Wilson" (1)
A Commentary on Daniel, "E.J. Young" (2)

فما دام الأمر كذلك، فلماذا لا أُصدق الكتاب المقدس إنْ أخبرني بأمور أخرى؟! إنه يُخبرني عما يريده الله منِّي. إنه يخبرني عن الإنسان، من أين جاء، ولماذا هو هنا، وما هي الطبيعة الحقيقية لمشكلته.

بنفس الطريقة يتكلم الكتاب المقدس عن أمور عظيمة: كيفية الحصول على الحياة الأبدية!! كيف يمكنني أن أحيا حياتي الشخصية، كيف يجب أن تكون حياتي العائلية، ما هي مسئولياتي كمواطن، والكثير من الأمور الأخرى الهامة.

وما يزيد الاطمئنان؛ أن تعرف أن الكتاب الذي يتكلم إلينا عن كل تلك الأمور، هو جدير بالثقة الكاملة. إن كل ما تحتاج معرفته لهذه الحياة، يوجد في كتاب "الحق الحقيقي"، كتعبير د. فرانسيس شيفر"Dr. Francis Schaeffer" .

يا لها من حماقة أن يُهمل مثل ذلك الكتاب!! وحماقة أكبر أن تشك فيه ولا تؤمن به. يوجد في هذا العالم كتاب حقيقي؛ حقيقي لأنه جاء من عند الله.

لقد حان الوقت لِنَكُفَّ نحن الإنجيليون عن الخوف، عندما نختلط مع أولئك الذين يشكّون ويجادلون في النصوص الكتابية، مع أولئك الذين يسخرون علانية بكل من يثق فيها ويُحِبّها.

إننا نؤمن بأنّ الكتاب المقدس- كما يصرح هو عن نفسه- كلمة الله. وهكذا يتجدد ذلك الاقتناع ويتقوَّى؛ عندما نقرأ مثل ذلك الأصحاح العجيب (دانيآل11) الذي يملأ قلوبنا تأكيدا، من الروح القدس، أننا نفتح كتاب الحق.

الدرس الثاني: ويمكن تلخيصه مما جاء في الأصحاح الحادي عشر عن الفكرة القديمة القائلة: "التاريخ هو قصته History is His Story". كيف يمكن للرب أن يعطي لـ"دانيآل" تفاصيل عن المستقبل، إذا كان المستقبل خارج نطاق سيطرته؟

والآن نستطيع أن نتوقف وقفة نتخيل فيها، كيف فكّر أولئك الذين كان بين أيديهم سفر "دانيآل"، وهم يرَوْن "البطالمة" و"السلوقيين" يأتون وينتهون تماما، كما قالت النبوات. حتما قالوا: إنّ كل شيء حدث كما قال الرب.ولا يوجد مجال للشك، في أنهم اقتنعوا أنه المسيطر، وكل الأمور تتم حسب مشيئته. ولابد أنهم استنتجوا أنّ كل ما سبق التنبؤ به قد حدث، وأنّ الأشياء التي تنبأ بها الكتاب ولم تحدث، لابد وأنها ستحدث.

إنّ ما يحدث في التاريخ، إنما يحدث؛ لأنه كُتب في كتاب الله. وعلى هذا فإن فترة من التاريخ قد أُظهرت لـ"دانيآل" وكُتبت في سفره، حتى وإن لم تكن قد حدثت حينذاك؛ فذلك لا يُغيِّر حقيقة أنها قد كتبت في كتاب الله.

وعلى هذا لا نزعم أن التاريخ بلا هدف أو بلا معنى؛ كما أعلن بعض المؤرخين المُحدَثين. إنما كل ما يحدث يُتَمِّم ما قرره الله. ولكن، يبرز بوضوح، وفي المقام الأول، أنّ الله ليس- بأي حال- صانع الخطية. إنه لا يتجاوز لحظة عنها. ونحن لا نفهم كيف يكون ذلك!! لكنها الحقيقة. وسوف نرى بوضوح أكثر، عندما نقف عند الشاطيء الأفضل، حيث نستطيع أن نسترجع تاريخ العالم.

في هذه الحقيقة تعزيات وفيرة، فعندما ننظر إلى العالم اليوم، نرى قوات الشر تعمل في كل مكان، تدبِّر شرا، تُهدد، تَضطهد، تظلم. لكن حتى هذه تعمل مشيئة الله السرمدية. إن هذه القوات لا تعمل شيئا مختلفا عن إمبراطوريات العالم العظمى، المذكورة في سفر "دانيآل". لقد تَعلّمنا أنها كانت تحت سيطرة الله.

هذا الأمر لا يختلف عن قوات اليوم، إن التاريخ ليس خارج سيطرة الله، ومحصلته مضمونة. كل الأشياء تتحرك نحو النصر النهائي، للرب يسوع المسيح، وإلى العقاب النهائي والأبدي للأشرار.

درس ثالث وأخير: دّرْسٌ علينا أن نتعلّمه من هذه الفقرة. الله مازال هو الله، حتى وإن لم نشاهده في مكان ما. فقد رأينا الرب يسوع المسيح يُعلن المستقبل للنبي "دانيآل"، وإذا فحصنا النبوءات المعطاة له، فإننا لا نجد فيها أية إشارة إلى الله. هناك قائمة صحيحة عن حروب، تحالفات، زيجات، معارك، وكثيرين جاءوا ثم ذهبوا. لقد شغل الإنسان كل الصورة، والإنسان الأقوى في عصره يظهر دائما أنه هو الذي يفعل كل شيء. ولا توجد أية إشارة إلى الله في كل هذه المشاهد، ويبدو وكأنه لا علاقة له بالتاريخ. ومع ذلك، فإنّ الرب بنفسه هو الذي يعلن كل ذلك. وهذا يفيد في تأكيد الدرس الذي تعلمناه الآن: إن التاريخ هو قصته. وتبقى هذه هي الحقيقة، سواء كانت هناك إشارة إلى دور الله أم لا.

ليت التفكير يذهب بك إلى الفترة التاريخية المشار إليها في هذا الفصل، والجيوش في ذهاب وإياب على "فلسطين"، وانتباه العالم على "السلوقيين" أو "البطالمة"، ولم يكن لليهود أيّ وجود في سياسات العالم. فكم من إمبراطوريات قامت وانتهت، واليهود لم يُحسَبوا شيئا. لقد كان اليهود هم الوحيدون الذين لديهم الحقيقة عن الله الحي، ومع ذلك، لم يلتفت إليهم أحد. لم تكن لهم أهمية وسط العالم، بل كانوا في مشكلات وحيرة واضطهاد، ملأت قلوبَهم خوفا ورعدة. وفيما يتعلق بكُتب التاريخ، ليس لإلههم ذكر فيها.

ورغم ذلك، فالأحداث – بالنسبة لهم على وجه التحديد وبالنسبة للعالم ككل- كانت تتوالى كما أنبأ بها "المخلِّص"، وحسب مشيئته. ولم يحدث شيء في أي مكان إلا ما كُتب في كتاب الله. وبقيت هذه حقيقة، حتى وإن بدا أن الله غائب تماما عن العالم. كل التاريخ هو قصته؛ ففي الوقت الذي لا يمكن لأحد أن يراه، تجده موجودا، يوجِّه أمور العالم كلها كما يشاء.

وأخيرا، أيها القاريء، وإذ ننهي هذا الأصحاح، هل يمكنني أن أسأل إن كنتَ تؤمن بذلك؟! إننا فعلا نعيش في أيام الارتداد، نشاهد رجالا ينادون باسم المسيح، وهم يقدِّمون تعاليم لا تزيد عن فلسفة إنسانية، تتحلَّى بالدين. يلبسون ملابس المسيحية، لكن لا تحكمهم أية قناعات روحية. لا يحترمون كلمة الله، ولا يخضعون لها!! إن الكنيسة المنظورة، تنجرف كل يوم، في تيار بعيد عن تعليم وأساس الرسل.

ونتيجة مباشرة لمثل هذه الخيانة، انهيار أخلاقي في كل المستويات في مجتمعنا. وإضافة إلى ذلك، فنحن نعيش تحت ظل رعب غير واضح، ونشهد تقلبات يومية في السياسة الدولية والقومية، ونقرأ عن اضطراب في الاقتصاد العالمي، ونتعرض للسرقة حتى في شوارعنا.

من خلال هذا كله، ننظر حولنا منتظرين انحسار الشر، لكن دون جدوَى. ويصعب علينا أن نسمع صوت الحق عاليا في أي مكان؛ وبالتالي يزداد إحساسنا بالحقيقة المؤلمة: أن كل أبواب الجحيم ستُفتح علينا في أية لحظة.

هل هذه الصورة تدفعك أن تؤمن – من خلال هذا الأصحاح - أن الله لم يزل هو الله، حتى وإن كان لا يُرى في أي مكان؟!